

باب العقائد

﴿ مذهب السلف ، وطريقة الخنابلة في التأليف ﴾

نوفج من مقدمات شرح عقيدة السفاريني الذي نظمه في هذه الايام المسمى (لوائح الانوار البهية ، وسواطع الاسرار الاثرية ، لشرح الدررة المضية ، في عقيدة الفرقة المرضية ، قال

﴿ السابع ﴾

المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم باحسان واتباعهم وأمة الدين ممن شهد له بالامامة وعرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رمي ببدعة أو شهر بقلب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء مما يأتي ذكرهم عند تعداد الفرق لكن لما كان فشو البدع وظهورها كان بعد المائتين لما عربت الكتب العجمية كما تقدم وزاد البلاء وأظهر المأمون القول بخلق القرآن وظهر مذهب الاعتزال ظهوراً لا مزيد عليه بسبب انحراف الخلفاء عن مذهب الحق وكان الذي قام في نحورهم ورد مقاتلهم وإبطال مذهبهم وتزييفه وضم من ذهب اليه أو عول عليه أو اتعق الى ذويه أو ناضل عنه أو مال اليه سيدنا وقدوتنا الامام المبجل والحبر البحر المفضل أبا عبد الله الامام أحمد بن محمد بن حنبل نسب مذهب السلف اليه وعول أهل عصره من أهل الحق فمن بعدهم عليه والا فهو المذهب المأثور والحق الثابت المشهور لسائر أئمة الدين وأعيان الامة المقدمين قال حرب ابن اسماعيل الكرمانى في كتابه المصنف في مسائل الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه واسحق بن ابراهيم بن راهويه مع ما ذكر فيها من الآثار عن النبي المختار والصحابة الابوار والتابعين الاطهار ومن بعدهم . قال هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الاثر المعروفين بالسنة المقتدى بهم فيها وأدركت من أدركت من علماء العراق والحجاز والشام عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبيل السنة ومنهج الحق قال وهو مذهب الامام أحمد واسحق وبقى ابن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن

جالسنا وأخذنا عنهم العلم فذكر الكلام في الإيمان والقدر والوعيد والامام الخ
 كلامه كما سنبه عليه في محالته وعن ألف في عقائد السلف وذكر معتقدهم في كتب
 التفسير المنقولة عن السلف مثل تفسير عبد الرزاق وتفسير الامام أحمد واسحق
 وبق بن مخلد وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم وعبد بن حميد وعبد الرحمن بن أبي
 حاتم ومحمد بن جرير الطبري وأبي بكر بن المنذر وأبي بكر عبد العزيز وأبي الشيخ
 الاصفهاني وأبي بكر بن مردويه وغيرهم وكذلك الكتب المصنفة في السنة والرد
 على الجهمية وأصول الدين المنقولة عن السلف مثل كتاب الرد على الجهمية لمحمد
 بن عبد الله الجعفي شيخ البخاري وكتاب خلق الافعال للبخاري وكتاب
 السنة لأبي داود ولأبي بكر الاثرم ولعبد الله بن الامام أحمد وحنبل بن اسحق
 ولأبي بكر الخلال ولأبي الشيخ الاصفهاني ولأبي القاسم الطبراني ولأبي عبد الله
 بن منده وأمثالهم وكتاب الشريعة لأبي بكر الآجري والابانة لأبي عبد الله
 ابن بطة وكتاب الاصول لأبي عبد الله الطلمنكي وكتاب رد عثمان بن سعيد الدارمي
 وكتاب الرد على الجهمية له وغير ذلك فالأئمة الاربعة والسفيانان والحمادان وابنا
 أبي شيبة والليث ابن سعد وابن أبي ذيب وربيعة بن عبد الرحمن والبخاري ومسلم
 وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن ماجه وابن حبان وأبو ثور
 وابن جريج والاوزاعي وابن الماجشون وابن أبي ليلى وأبو عبيد بن سلام ومسمر
 ابن كدام الامام ومحمد بن يحيى الذهلي امام أهل خراسان بعد اسحق بلا مدافعة
 وأبو حاتم الرازي ومحمد بن نصر المروزي وغير هؤلاء كلهم عقيدة واحدة سلفية
 أثرية وان كان الاشتهار للامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه للعلة التي ذكرناها
 حتى ان الشيخ أباحسن الأشعري قال في كتابه - الابانة في أصول الديانة - ما نصه
 بحروفه «فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة
 والمرجئة فمرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا
 الذي به تقول وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه
 وسلم وماروي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث فنحن بذلك معتمدون وبما
 كان عليه الامام أحمد بن حنبل نصر الله وجهه قائلون ولن يخالف قوله مجانبون لأنه

الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به المبتدعين فرحة الله عليه من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين « انتهى فنسب المذهب اليه لاشتهاره بذلك مع ان سائر أئمة الدين سلكوا تلك المسالك وبالله التوفيق

الثامن

قال الجلال السيوطي في الاوائل أول من تفوه بكلمة خبيثة في الاعتقاد الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار آخر ملوك بني أمية فقال بأن الله تعالى لا يتكلم قال شيخ الاسلام في الرسالة الحموية الكبرى أصل فشو البدع بمد القرون الثلاثة وان كان قد نبع أصلها في أواخر عصر التابعين قال ثم أصل مقالة التعطيل للصفات انما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فان أول من حفظ عنه قال هذه المقالة في الاسلام هو الجعد ابن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه وقد قيل ان الجعد أخذ مقالته عن ابان بن سمان وأخذها ابان عن طالوت بن أخت لبيد بن الاعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين الذين صنف بعض الساحرين في سحرهم والنمرود هو ملك الصابئة كما ان كسرى ملك الفرس والمجوس فهم اسم جنس لاسم علم قال وكانت الصابئة اذذاك الاقليلا منهم على الشرك وعلماؤهم الفلاسفة وان كان الصابئ قد لا يكون مشركا بل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لكن كثيرا منهم أو أكثرهم كانوا كفارا ومشركين وكانوا يبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل ومذهب النفاة الذين يقولون ليس له صفات الا سلبية او اضافية أو مركبة منها وهم الذين بث سيدنا ابراهيم خليل الرحمن اليهم فيكون الجعد أخذ عقيدته عن الصابئة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضا - فيما ذكره الامام ا.ج.ا. رضي الله عنه - عنه وعن غيره وكذلك أبو نصر

الفارابي دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئة تمام فأسفته لما ناظر السنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات فرجعت أسانيد الجهم الى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين امامن الصابئين وامامن المشركين فلما عبرت الكتب الرومية زاد البلاء مع ما أتى الشيطان في قلوب أهل الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم

ولما كان بعد المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وذويه . وكلام الائمة مثل مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد واسحق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم في هؤلاء في ذمهم وتضليلهم معروف وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب (التأويلات) وأبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه (تأسيس التقديس) ويوجد كثير منها في كلام خاق غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه كما يعلم ذلك من كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الائمة المشاهير في زمن البخاري وسمى كتابه (رد عثمان بن سعيد على الكاذب الضيعة فيما افترى من التوحيد) فانه حكى هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي ثم ردها بكلام اذا طالعه العاقل الذكي يسلم حقيقة ما كان عليه السلف ويتبين لظهور الحجج لطريقهم وضعف حجة من خالفهم وقد أجمع أئمة الهدى على ذم المريسية بل أكثرهم كفرهم وظلمهم ويعلم بمطالعة كتاب ابن سعيد الدارمي ان هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين الذين تسموا بالخلف هو مذهب المريسية فلا حول ولا قوة الا بالله فذهب السلف حق بين باطلين وهدى بين ضالين قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه لا يوصف الله تعالى الا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث . قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله وروحه مذهب السلف انهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكليف ولا تمثيل

فالمعطل يبعد عدماً والمثل يبعد ضمناً والمسلم يبدل إلى الأرض والسماء والله أعلم

التاسع

مذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت المأثور وأهله هم الفرقة الناجية والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة واكل مكرمة راجية من الشفاعة والورود على الحوض ورؤية الحق وغير ذلك من سلامة الصدر والأيمان بانقدر والتسليم لما جاءت به النصوص فمن المحال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه— ممن لا يقدر قدر السلف ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين به بحق المعرفة للأمور بها— من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم وهؤلاء انما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الأميين وان طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الاسلام وراء الظهور وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين باطلين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم قال الحافظ ابن رجب في كتابه (بيان فضل علم السلف * على علم الخلف) ما نصه «ومن محدثات الأمور ما أحدثه المعتزلة ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بأدلة العقول وهي أشد خطراً من الكلام في القدر لان الكلام في القدر كلام في أفعاله وهذا كلام في ذاته وصفاته وينقسم هؤلاء الى قسمين أحدهما من نفى كثيراً مما ورد به الكتاب والسنة لاستزمامه عنده التشبيه كنفى الرؤية والاستواء وهذا طريق المعتزلة والجهمية وقد اتفق السلف على تبيدهم وتضليلهم وقد ملك سبيلهم في بعض الأمور كثير ممن ينتسب الى السنة والحديث من المتأخرين والثاني من رام اثبات ذلك بأدلة العقول التي لم يرد بها الاثر ورد على أولئك مقاتلهم كالكرامية ومن وافقهم حتى إن منهم من أثبت الجسم اما لفظاً واما معنى ومنهم من أثبت له تعالى صفات لم يأت بها الكتاب والسنة كالحركة وقد أفكر السلف على مقاتل رده على جهم بأدلة العقل وبالضوا

في الطعن عليه والصواب ما عليه السلف الصالح من اصرار آيات الصفات وأحاديثها كاجابات من غير تكبير ولا تمثيل ولا يصح عن أحد من السلف خلاف ذلك ألبنة خصوصاً الامام أحمد رضي الله عنه ولا خوض في معانيها ولا ضرب مثل لها وان كان بعض من كان قريباً من زمنه فيهم من فعل ذلك من ذلك اتباعاً لطريقة مقاتل ابن سليمان فلا يقتدى به في ذلك وإنما الاقتداء بأئمة الاسلام كابن المبارك ومالك والثوري والاوزاعي والثافعي وأحمد واسحق وأبي عبيد ونحوهم رضي الله عنهم فكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس الكلام المتكلمين فضلاً عن كلام الفلاسفة ولم يدخل ذلك في كلامه من سلم من قدح وجرح وقد قال أبو زرعة الرازي : كل من كان عنده علم فلم يصن عنه واحتاج في نشره الى شيء من الكلام فلستم منه وقال الحافظ ابن رجب أيضاً وفي زماننا تتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم الى زمن الثافعي وأحمد واسحق وأبي عبيد وليكن الانسان على حذر مما حدث بعدهم فانه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحدث من انتسب الى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن الامة وانفراده عنهم بفهم يفهمه أو يأخذ ما لم تأخذ به الامة من قبله وأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين والفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء من ذلك الا وتلطخ ببعض أوضارهم كما قال الامام أحمد رضي الله عنه : لا يخلو من نظري الكلام الاتجهم : وكان هو وغيره يحذرون من أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة وأما ما يوجد في كلام من أحب الكلام المحدث واتبع أهله من ذم من لا يتوسع في الخصومات والجدال ونسبته الى الجهل أو الخشو أو الى انه غير عارف بالله أو بدينه فمن خطوات الشيطان فعوذ بان منه « انتهى ملخصاً

وفي الآداب للامامة ابن مفلح رحمه الله تعالى عن الطبراني قال حدثنا عبد الله بن الامام أحمد قال حدثني أبي قال : قبور أهل السنة من أهل الكباثر روضة وقبور أهل البدعة من الزنادقة حفرة فساق أهل السنة أولياء الله وزهاد أهل البدعة أعداء الله : وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تسمع ومن

دعوة لا يستجاب لها» وخرجه أهل السنن من وجوده متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعضها «ومن دعاء لا يسمع» وفي بعضها «أعوذ بك من هؤلاء الأربعة» وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول «اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني» ورواه النسائي من حديث أنس رضي الله عنه وزاد «وارزقني علماً تنفعني به» ويأتي الكلام على هذا بأبسط من هذا في المقدمة والله أعلم

﴿المنار﴾ كنا عند ابتداء الاشتغال بعلم الكلام نرى في الكتب خلاف الخنابلة فنحسب أنهم قوم جمدوا على ظواهر النقول، أفهموها حتى فهمها، ولا عرفوا حقائق العلوم وطابقوا بين النقل وبينها، وأن كتب الأشاعرة هي وحدها منبع الدين، وطريق اليقين، ثم اطلعنا على كتب القوم فإذا هي الكتب التي تجلي للمسلمين طريقة السلف المثلى، وتورد الناس مورد هم الأهل، وإذا بقارئها يشعر بشاشة الإيمان، وبحس سرعان برد الأيقان، وإذا الفرق بينها وبين كتب الأشاعرة كالفرق بين من يمشي على الصراط السوي، ومن يسبح في بحر لحي، تتدافه أمواج الشكوك الفلسفية، وتجادبه تيارات المباحث النظرية، وقد ظهر لي إذ تبينت أن مذهب السلف الصالح أسلم وأعلم وأحكم، أن هذا من دلائل صدق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، لأن المسلمين بعد أن نظروا في فلسفة الحكماء الأهلبيين، وخاضوا في جميع علوم الأولين، لم يأتوا بشيء في توثيق عقدا الإيمان، ولا بالوصول إلى الحق بالبرهان، إلا بدون ما جاء به القرآن، ولو كان هذا القرآن من وضع البشر لارتقوا عنه بعد خروجهم من الأمية، وتوغلهم في العلوم العقلية من رياضية وطبيعية وفلسفية، ومما تفضل به كتب الخنابلة سائر الكتب أنها يحتاج إليها في كل زمان، وكتب الأشاعرة قد استغنى الناس عن معظم نظرياتهم الآن، لأن معظمها من الفلسفة اليونانية وقد نسخت، وفي مناظرة فرقة المعتزلة وقد انقرضت، نعم لأقول أن كل ما كتب الخنابلة من المسائل والمباحث صواب، وإنما معصومة من الخطأ قالها المرجع والمآب، فإن العصمة لكتاب الله وحده «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»